



لم يتوقف النظام التركي عن تهديد حزب الاتحاد الديمقراطي (الكردي السوري)، أحد أفرع حزب العمال الكردستاني في تركيا، وعن أنه لن يسمح بتشكيل "دولية" على حدود دولته، ووصل رأس العين والحسكة بعفرين، على الرغم من أن ذلك دونه أغلبية عربية في بلدات الشمال، وهو ما يهم السوريين. قوات الحزب تكفلت بتهجير أهالي قرى كثيرة لتنفيذ مشروعها، وتمَ ذلك بدعمٍ أمريكي، وبحجَّة التخلص من "داعش"؛ وقبل ذلك بسبب تسليم النظام لهذا الحزب مدينة الحسكة وبلداتها، ليفرض سلطته عليها. تعاون هذا الحزب كذلك مع الروس، من أجل دعم مراكز وجوده في مدن الشمال السوري، ولا سيما في أثناء "احتلال" مدينة حلب، وكان ذلك يفعل تعاون روسي وتركي وإيراني، أضف النظام، وانسحاب مخزٍ للفصائل منها. ظل التهديد التركي طوال عام 2017، وأنه لن يسمح أبداً بوجود قوات حزب الاتحاد الديمقراطي (بي بي دي) في عفرين ومحيطها، ولا سيما تل رفعت ومطار منغ وبلدات عربية كثيرة. ما أخاف تركيا، ليس وجود هذا الحزب في عفرين، بل الخطوة الأمريكية أخيراً، وإعلانها تشكيل "جيش" حرس الحدود من 30 ألف جندي وبقيادة كردية. وبغض النظر عن التبرير الأميركي لهذه الخطوة، مثل حماية الحدود مع تركيا والعراق، بحجَّة محاربة "داعش"، فإن تركيا شعرت بخطورة الموقف، وأن ذلك سيكون تمهيداً لربط رأس العين بعفرين، وبالتالي رفع مستوى تهديد مجالها الأمني على شريطِ حدودي واسع، وهو ما سُيُقِّوي من عزيمة الكرد، ليس في سوريا، بل في تركيا، لاسيما أن الأخيرة أوقفت الحوار مع حزب العمال منذ العام 2015، وأعادت سياسة الحرب والتنكيل بالكرد فيها.

لم يفهم حزب الاتحاد وذراعه العسكري أن هناك حسابات دولية لكل أشكال الصراع في سوريا، وأن دوره يتمحور في خصوصه لتلك الحسابات، وأن من غير المسموح له تبني سياسات "قومية" أو مستقلة تتعدد ذلك. وقد أعلنت تركيا أنها تُحضر للحرب، وسمّت العملية "غصن الزيتون"، والأطراف الدولية حددت مواقفها؛ فأميركا قالت إن عفرين ليست مشمولة بمناطق التحالف الدولي، وروسيا سحب قواتها، والنظام خاضع لها، وإيران بالتأكيد مع اجتناث قوات حماية الشعب الكردية، وهناك فصائل عسكرية سورية اتخذت موقفاً خطأً بالانخراط في العملية العسكرية التركية، وكذلك أيدَ أكبر تنظيم سياسي سوري معارض، أي الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، دعم العملية، وبالتالي صارت المسألة بخانة الاتحاد الديمقراطي. الحزب الأخير، وبدلاً من قراءة المواقف الدولية، والسوبرية، تبنّي خيار المواجهة وتوريط عفرين ومحيطها بمعركة قد تدمّرها، ما لم تكن هناك اتفاقات دولية محدّدة، تنص على محاصرة المدينة، وإخراج قوات حماية الشعب منها، وتسلیمها لإدارة مدنية والسيطرة على المناطق المحيطة بها.

هناك مشاريع كثيرة لفرع الحزب الأوجلاني هذا، ولا تتوقف عن تشكيل "دولية" في سوريا، وتنصل إلى البحر المتوسط، وبخطوة تركيا الأخيرة والتهديد بالعودة إلى منبج، ينتهي ذلك المشروع. التطورات هذه ربما تفتح حواراً كردياً، عن دور "بي بي دي" في تمكين الأميركيان من شمال سوريا وشرقها، والعداء الكبير مع العرب، واحتمالات تفجير معارك كبرى مستقبلاً بسبب سياسات الحزب. المظلومية السابقة، وأن الأكراد بلا حقوق في سوريا، وأن فصائل كثيرة، إضافة إلى النظام، عادتهم، وعلى الرغم من صحتها تاريخياً، إلا أنها لم تعد تفيد لتبصير ارتقان الحزب للأميركان وللروس وسواهم. وبالتالي، هناك مشكلات تتعقد، وتتطلب حلّاً، وبما يُنهي وجود هذا الحزب وقواته العسكرية في أغلبية مناطق شمال سوريا وشرقها. هذا أكثر من ضروري، لنزع أسباب الحروب القاتمة بين العرب والكرد، ولا سيما حينما يحصل تفاقٌ كبير بين الأميركيان والروس، ويصبح من أول الشروط سحب السلاح، وتمدد الدولة مجدداً.

تزامنت العملية التركية مع مشاورات مع روسيا، تخص وضع إدلب، وهي بمثابة البداية لحربٍ قد تكون شديدة ضد هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة)، وربما تدمّر المدينة، وهذا سيكون بتعاون تركي روسي إيراني؛ وهناك إعلان تركي جديد يقول إن عمليتها في عفرين تهدف إلى السيطرة على 30 ألف كيلو متر، وإعادة أكثر من ثلاثة ملايين سوري فيها. إذا تركيا وروسيا، بشكل خاص، تنسقان، وبما ينهي المناطق التي تشكّل مشكلات مستقبلية لهم، ويبعدوا أن هذه التوافقات بدأت، منذ السيطرة على حلب، والآن فصلها الجديد في عفرين، وستنتهي في السيطرة على إدلب، وبذلك تنتهي الجماعات العسكرية القوية باعتبارها قوات حماية الشعب أو تحرير الشام.

بتشكيل قوات سورية الديمقراطية، وعلى الرغم من أن أغلبيتها من قوات الحماية الكردية، وقيادتها الفاعلة كردية، فإن هذا التشكيل نفسه يوضح أن أميركا تريد توظيف هذه القوات في إطار معاركها، واقتسام سوريا واستراتيجيتها. وبتحقق ذلك، يصبح ضرورياً الخلاص منها، ومن قوات الحماية نفسها. تشكيل العملية ضد قوات الحماية في عفرين، ومعركة إدلب، بداية التفاهمات مع الأميركيان الذين لم يرفضوا العملية فعلياً، وهذا عنصر توافق روسي تركي الأميركي إيراني، أي أن العمليات العسكرية تلك تمهد لتفاوض جديد بين الدولتين العظميين.

يأتي الإعلان الأميركي الجديد عن خطة "جديدة" تخص سوريا، وأنها تتمحور في محاربة "داعش" ومحاصرة إيران والتخلص من الأسد، شروطاً وتحديداً، على طاولة التفاوض مع الروس، وهذا يعني أنه لا قيمة لمؤتمر سوتشي، وكذلك لقاء فيينا

المقبل؛ حيث إن المؤتمرين يؤكdan أنهم سيناقشان مسألة الدستور، وبالتالي لن يناقشا قضية الانتقال السياسي، والتي يعتقد إمكانية طرحها مجدداً بعد التطورات أخيراً في عفرين وإدلب وفي السياسة الأمريكية.

أخطأ حزب الاتحاد الديمقراطي، بتعاونه مع النظام منذ 2011، ضد الشعب، وبقمع مظاهراته في مدن الشمال، وكذلك أخطأ في "تحرير التدميري" للرقة وكثير ومناطق كثيرة، وبيقائه في عفرين أخيراً. أخطأت الفصائل المسلحة، وكل من دعم مواقفها ضد الاتحاد الديمقراطي، أو ضد الكرد؛ كانت هذه الممارسات ضد الشعب السوري، بعربيه وكرده وغيرهما، ولصالح الصراعات الإقليمية. وبالتالي هناك ضرورة سياسية كبرى، ولصالح كل السوريين، وتجاوز القوى السياسية السورية بأجمعها، وتتحدد بإنتاج مشروع وطني، لا يتجاهل الحقوق الكردية في سوريا، ويساهم في إعادة التواصل بين السوريين، فيما يحرر سوريا من كل الاحتلالات الأجنبية. من دون ذلك، هناك تهميش لكل السوريين ولسوريا، وهي وظيفة الاحتلالات تلك، فأي كردٍ وعربٍ هؤلاء الذين يساعدون المحتل؟

المصادر:

العربي الجديد